عمَّا يطفح بهِ قلبهُ فتكون كتابتهُ ألذَّ واوقع في الصدور . وفي هذا الجزء الاوَّل مدار الكلام على الصناعة في الاجيال الاولى التابعة للنصرانيَّة . وفيهِ من الابحاث ما يتهافت الى مطالعتهِ القارئ بشوق عظيم رغمًا عمَّا يصادفهُ في طريقهِ من التشعُّبات العديدة فلا ينتهي عن قراءتهِ حتى يرى كيف خرجت الصناعة الجديدة من لفائفها بعد ان بقيت زمنًا طويلًا في قماطات الهمجيَّة . والبحث عن الصناعة في فرنسة اطول نمًا سواه لأن اهلهـا اصابوا في ذلك سهمًا اوفر لكنَّ الكتبة افردوا ايضًا فصولًا شتَّى للصناعة الاجنبيَّة وممَّا احسنوا في وصفهِ خواصَّ صناعة انكلترَّة وارلندة . وممَّا يزيد هذا الكتاب قدرًا حُسن طبعهِ واتقان صورهِ على أنَّا وجدنا أنَّ عدد التصاوير قليل في بعض الاقسام بالنسبة الى غيرها فانَّ القسم البناني مثلًا قد تعدَّدت فيهِ الرسوم والصور بخلاف قسم الصور الدقيقة الرسم ( miniatures ) فانَّ الشروح عليهِ طويلة والصور قليلة فلو توفَّرت لساعدت على فهم الشروح لا سيَّما لتعريف كلّ طائفة من من طوائف المصوّرين ودرس خواصها . واكثر ما يحتاج اليهِ الدارس بعض الصور الملوَّنة فانَّ هذه الصور ولو كانت خشبيةً تقرّب ادراك النظريَّات وكذا فعل المسيو تُرْمان الذي سبق وصف كتابهِ فانَّهُ اكثر من التصاوير الملوَّنة فالنظر الى واحدة منها يفيدنا اكثر من الشروح الطويلة المدقَّقة التي تراها في مقالة المسيو مال ( E. Mâle ) . لكنَّ هذا النقص زهيد بالنسبة الى محاسن الكتاب الذي نحن بصددهِ فلا يسعنا الَّا ان نضيف صوتنا الضعيف الى المحامد التي اثنى بها كثيرون على هذا التأليف الفريد . واذا ما تمَّ قريبًا ( كما نؤمل من نشاط مدير العمل المسيو اندره ميشال ) هذا المصنَّف الجليل سوف يجد فيهِ الطلبة دستورًا وافيًا للدروس الفنيَّة والاثريَّة فتنسدّ بهِ ثلمةٌ واسعة من هذا القبيل

# الطواف بالقربان الاقدس

في هذا الاسبوع يحتفل الكاثوليك بطواف القربان الاقدس في شوارع بلادهم . فرأينا ان نروي للقرَّاء حادثًا فكاهيًا جرى لبعض الكهنة في احدى قرى فرنسة . وقد وجدناهُ مسرَّبًا بقلم الكاتب الفاضل المرحوم شاكر شقير وقد وسمهُ باسم « المثالبة بالمكانس » فتفاءلنا بعد مقابلتهِ مع الاصل الفرنسوي

ل . ش .

كان احد الضباط الفرنسويين قد طعن في السن وترك الخدمة العسكرية وانقطع الى دارهِ في قرية لهُ تعيَّن لها شيخًا لانهُ كان من كبار الرجال واسع الثروة ومقيم في املاكهِ . غير انَّ هذا الضابط كان فخورًا فظّ الطباع كثير الترفّع لا تعرف الرحمة باب قلبهِ ولا محلّ فيهِ للورع والعبادة وكان يكره الديانة واهلها ومن يكتفي بشعارها كأنَّ لسان حالهِ يقول :

انَّ القلانس للابالس موطنٌ في كلّ مفرز ابرةٍ شيطانُ

وكان اذا شعر انَّ احد اصحابهِ عمل ما يدلُّ على التقوى يتجنَّب صحبتهُ . بل جعل من مذهبهِ ان التقوى لا تقترن بالشجاعة وانَّ من يدخل المعبد لا يليق بميدان الحرب . ولذلك كان خوري القرية يُكابد من جفاء طباعهِ واذيَّتهِ انواع العذاب بطرق خفيّة غالبًا مختلفة الوجوه لكنهُ كان يتحمل منهُ الاذى بصبر ويجتهد بوداعتهِ وصلاح قلبهِ ان يُلين شراسة اخلاقه . وكان مع ذلك يجدُ تعزيةً وأُنسًا بوجود زوجة الضابط لأنها كانت مثال التقوى والبرّ ومن العجب أنَّ زوجها لم يكن يعارضها في شيء من هذا القبيل

فاتَّفق في احد أيام الصيف ان ثارت زوبعةٌ شديدة عقبتها امطار غزيرة فتراكم الوحل في الشوارع وفي الساحة العامّة حتى ما عاد احد يستطيع المرور وكان ثاني يوم عيد القربان الاقدس يُطاف بهِ برونق في انحاء القرية والناس يضطرُّون ان يسلكوا في تلك الطرق ويجتازوا الساحة . فتحرَّكت غيرة الكاهن وطاف بين اهل القرية يلتمس منهم ان يزيّنوا طريق القربان ويفرشوها بالزهور ويكنسوا تلك الاوحال . فلبّوا كلهم دعوتهُ وبذلوا الهمّة في العمل ولكن بقيت قطعة من الطريق بقرب منزل الضابط فما تجاسروا أن يمدُّوا اليها يدًا خوفًا من صولتهِ

فقال لهم الخوري : هيَّا يا اولادي انَّما تشتغلون لمجد الله وليس العمل صبًا فانَّ كثيرًا من اصحاب التقوى ينهضون في الليل ويصلُّون لاجل النيام فاكنسوا انتم لاجل الذين لا يكنسون ألا ترون الوحل امام هذه الدار الكريمة فبهمّة قليلة تزيلونهُ

فقال لهُ شيخ من القرويين : لا سبيل الى ذلك يا ابانا ونحن نعرف اخلاق صاحب المكان فاذا كنسنا قدّام دارهِ من دون اذنهِ أحلَّ بنا الهوان

فتنفّس الكاهن الصعداء لأنهُ رأى دلائل الخوف على كلّ الوجوه ثمّ قال لهم : لا بأس يا اولادي فاني سأجد طريقةً أخرى لبلوغ غايتي

قال هذا ثمّ توجّه توًّا الى باب الضابط فطرقهُ يطلب مواجهة رب البيت فأذن لهُ بالدخول . فلمّا رآهُ صاحب المنزل قال لهُ بتهكّم : اظنّ يا خوري انك قاصد احسانات زوجتي فليس لي معك شغل فانا انصرف

فقال الخوري : اخطأ ظنّكَ سيّدي نعم انّ قرينتك امرأة صالحة كثيرة الاحسان الى الفقراء واماّ الآن فحاجتي عندك

— قل وأوجز

قال : أجل فانّ وقتي ايضًا قصير . غدًا يكون عيد الربّ فيطاف بالقربان في القرية ولا بُدّ للموكب أن يمرّ من امام قصرك لكنّ الوحل في طريقهم يمنع المرور فجئتُ اطلب اليك ان تأمر بكنس الطريق او تسمح لاهل القرية ان يقوموا بهذا العمل

قال الضابط : اعلم يا خوريّ انّ عيد الربّ ليس بمذكور في قانون الاملاك والطرق وعليه فلا اسمح بكنس الوحل امام قصري

فقالت لهُ زوجتهُ وقد سمعت كلامه : ما هذا يا عزيزي واي ضرر عليك من فتح الطريق لتسهيل مرور الناس فالخدم عندنا كثيرون

— ارجو منك يا عزيزتي ان لا تتداخلي في مصالحي ولي حقّ في نظارة ما يجري امام بيتي فلا اريد ان يدنو منهُ احد بعمل

فقال الخوري : اعوذ بالله من ان اكون سبب الخلاف بينكما فاعود من حيث اتيت . أفهذا كلامك الاخير ؟

— نعم وكلّ من خالف قولي فلَوْمهُ على نفسهِ .

قال الكاهن : كفى . ثمّ خرج . اماّ الضابط فصاح بخدمهِ وامرهم بان يمنعوا كل من يريد الكنس امام دارهِ وشدّد عليهم الامر

*

من دأب الذين ليسوا اردياء الباطن طبعًا بل جروا في سبيل العنف والجفاء لمجرّد العادة او لشموخ في نفسهم انهم يشعرون بعد عمل سيّء . اتوهُ صوت تنبيه الضمير فيجدون في قلبهم كدرًا يلوح في كلّ حركاتهم . وهكذا جرى للضابط بعد ان ردّ

طلبة الكاهن فانهُ قضى بقية نهارهِ في قلق زائد حتى لم يجسر احد ان يقترب اليهِ وارى الى فراشهِ دون ان يطالع الجرائد خلافاً لعادتهِ ولكنهُ لم يذق غماضاً بل جعل يتململ في سريرهِ متقلباً من جنب الى جنب وهو في ضجر شديد من طول أرقهِ مع ان كلّ اهل القصر ناموا وأُطفئت كل الانوار . وبقي على تلك الحال الى ما بعد نصف الليل بنحو ساعة فسمع حينئذٍ صوتاً غريباً كحفيف متقطع متواتر هكذا « يش يش يش » فتعجب واستوى جالساً واصغى فسمع الصوت نفسهُ متكرراً فاستغرب الامر ورفع عن اذنيهِ طرف عراقيّة النوم فانجلى لهُ الصوت بزيادة فقال : لا شكَّ انَّ لعدًا يكنس الوحل فالويل للذي عصى اوامري فاني اؤدّبهُ اشدَّ التأديب والظاهر ان الخوري رشا لهذا الشأن احد الفلاَّحين الوقحين فسأُدبّر امري معهُ

ثمَّ لبس لبساً خفيفاً واخذ سوطهُ وتزل بهدوّ الى ان بلغ باب الدار ففتحهُ ووثب كالنمر الى جهة الصوت وقد رفع سوطهُ ليمزّق جلد ذلك العاصي . لكنَّهُ ما كاد يدنو من الشبح حتى وقف مبهوتاً كأنهُ فُتَّ في عضدهِ ثمَّ ارخى السوط من يدهِ قائلاً : ما هذا يا ابتِ أأنت هنا تكنس امام بابي في هذه الساعة من الليل

قال الكاهن : نعم أيها الضابط ما قدرتُ ان اتمم هذا العمل الخيري لكرامة عيد غدٍ وهاءنذا مستعدٌ لاتحمّل ضربات سوطك حبًّا بالمخلّص الذي مات لاجلي ولأجلك شئت ام ابيت وها هو ذا يتنازل فيبارك قريتنا في ضحوة هذا النهار فاجلدني ان اردتَ انتقاماً لوعيدك

فحاك هذا الكلام في قلب الضابط واثّر فيهِ اشدَّ التأثير حتى ترقرقت عينهُ بالدموع ثمَّ قال : قد غلبتني بأناتك وصبرك الجميل

وللحال صاح بالخدم بصوت كالرعد فهبُّوا مذعورين مرتاعين فقال : « هاتوا لي مكنسةً حالاً » . فاندهشوا من هذا الطلب ووقفوا حائرين فاعاد عليهم الامر مشدّداً . فبادروا باوَّل مكنسة وجدوها فاختطفها من يد الخادم وشرع يكنس بهمَّة الشبَّان

فقال لهُ الخوري : ارفق بنفسك سيّدي فانك ما تعودت مثل هذه الاعمال

قال : دعني وشأني واشتغل انت من جهتك وانا من جهتي لنرى من يكون منَّا الساعي في هذه المقابلة

فقهقه الكاهن وواصل عملهُ . وبعد نحو عشر دقائق تعب الضابط فجعل يلهث

والعرق يتصبَّب من بدنهِ كأنَّهُ في معامع الحرب. ثمَّ ناول المكنسة للخادم وقال: تمّموا انتم هذا العمل. وانت يا ابتِ امضِ ونَمْ وانا كذلك وفي الصباح نلتقي ان شاء الله على هيئة جديدة لانك وعظتني في هذه الليلة ابلغ عظة

ولمَّا طلع النهار كانت في القصر حركة عامَّة فكنت ترى الضابط في حديقة يلجُّ على خدّامهِ بالعمل وهو يشتغل معهم. فكان الغلمان يرتقون السلالم ويقطعون من الاشجار كلَّ غصن مزهر وفرعٍ غضّ واما هو فكان يطوف بين الازهار والرياحين ويقطع كلَّ ما تقع عينهُ عليهِ لا يبقي ولا يذر. وبعد ان عرّوا المغروسات من حليها تعاونوا كلهم وزيّنوا واجهة الدار وجانبي الطريق بكل انواع الزخارف حيثما كان القربان الاقدس عتيدًا ان يمرّ. فازدانت نواحي المكان باشكال الزهور واقواس الظفر كما في اعظم الاعياد. ولمَّا فرغوا من العمل وقف الضابط يتأمل في هذه الزينة البهيَّة ثم قال: هوذا عمل يرضي الحوري على ظني والَّا فتبًّا لهُ

وكانت زوجة الضابط قد رأت من نافذتها كلَّ ما جرى فاستغربتهُ جدًّا وطفح قلبها سرورًا وشكرًا لله وبالخصوص لمَّا رأت زوجها داخلًا عليها وهو لابسٌ بزَّتهُ الرسميَّة وعلى صدرهِ النياشين التي نالها في المواقع الحربيَّة قائلًا انهُ يصحبها الى الكنيسة ثمَّ يسير معها في طواف القربان فحسبت نفسها في النعيم

ثمَّ تمّت الحفلة برونق عظيم لم يُعهد لهُ شبيه في القرية. ولما كان الظهر حضر الحوري عند الضابط لتناول الغداء فقالت لهُ زوجة الضابط: «اني قد تعجَّبت غاية العجب من صنيعك يا محترم فهل انت ساحر ام أيَّة وسيلة توسَّلتَ بها فأحدثت هذا الانقلاب العظيم في افكار زوجي»

قال الكاهن ضاحكًا: اني لم اتخذ واسطةً الَّا مكنسةً

قال الضابط: «غير ان مكنستك اكتسحت كلَّ اوهامي الباطلة» ثمَّ قصَّ على امرأتهِ ما جرى في الليل وانهى كلامهِ بهذا المثل:

بالبرّ والتقوى وحُسن النيَّة من الفُساة تُصلَح الطويَّة